بسم الله الرحمن الرحيم (المنفلوطي أبرز كتّاب مصر يدعو على التوحيد)

كنت أظنّ أنه الأستاذ محمد بهجت الأثري العراقي عضو المجمع العربية رحمه الله هو الكاتب العربي الوحيد الذي ميّزه الله تعالى بمعرفة أهمّ ما أمر الله ورسله به (إفراد الله بالعبادة) وأهمّ ما نهى الله ورسله عنه (الإشراك بغير الله معه في عبادته) والإحاطة بما وصل إليه حال أكثر المسلمين عربا وعجما- منه الجهل بصحيح المعتقد (أساس الدين ورأسه الأعظم) والوقوع في أبرز مظاهر الشرك الأكبر منذ قوم نوح حتى قيام الساعة (تقديس الأضرحة والمقامات والمزارات والمشاهد، ودعاء أصحابها، وطلب المدد منهم، والاستغاثة والاستعانة بهم، والنذر والذبح لهم والطواف بها ونحو ذلك).

ولا زلت أعتقد أنه خير الكتاب العرب علما وأصحّهم معتقدا وأجودهم همّة ودعوة فيما ظهر لي من مقالاته التي لم يتشتّته منها حتى مجلة مؤسسة الفكر العربي (على بُعْدها عن هذه القمم التي اصطفى الله لها خير رسله وخير الدعاة إليه)، وعلى رأس ذلك كله رسالة كبرى الندوة الجامعة الإمام محمد بن سعود رحمه الله عن الدعوة التجديدية في منتصف القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر من الهجرة وكانت الندوة المباركة حسنة من حسنات معالي الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وفضائله من فضل الله ومنّه. وكان عنوان الرسالة: (محمد بن عبد الوهاب داعية التوحيد والتجديد) بيّنه فيها أنه ما قامت به وقامت عليه الدعوة المحمدية والدولة السعودية لم يشهد له مثيل منذ نحو ألف سنة من حيث العودة بالأمة إلى ما كان عليه النبي وأصحابه، وهدم أوثان المقامات والمزارات ومحاربة البدع التي أخرج الناس منها الفاطميون. وقد نوّهت برهذا التميز في أكثر من مقال. وثبت على هذا حتى تجاوز (٩٠).

وقد وضع إثنان من إخواني في الدين والدعوة على منهج النبوة بين يدي (الشيخ يوسف الغوري مفتي مملكة الأردن وعبد الحق الترمانيني مفتي مملكة السويد) مقال الأعظمي الكاتب المصري الذي تألم على مقالاته أكثر كتّاب الأجيال الأخيرة من العرب (الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي) رحمه الله يرقى به إلى صف الأثري في حسرته على المسلمين اليوم، وما عرف الناس بالفكر والأدب العربي ولم يعرفوه بما هو أعظم:

قال رحمه الله في كتابه (النظرات جـ ٢ ط ٥ المطبعة الرحمانية بالحرنفش بمصر):

(كتب إليّ أحد علماء الهند عن مؤلف ظهر بلغة التاميل (لغة أهل ناقور وملحقاتها جنوبي مدراس بالهند) موضوعه سيرة عبد القادر الجيلاني وما يُروى عنه من مناقبه وكراماته وما يُوصف به من صفات الربوبية الله تعالى مثل: (سيد السموات والأرض، المتصرف في الأكوان،

المطّلع على أسرار الخليقة، محيي الموتى، ماحي الذنوب، رافع البلاء)
وفي الكتاب بيانه لما يجب على زائر قبره: (يتوضّأ وضوءاً سابغاً،
ثم يصلي ركعتين بخشوع واستحضار، ثم يتوجّه إلى تلك الكعبة
المشرّفة، وبعد السّلام على صاحب الضّريح المعظم يقول: يا
صاحب الثقلين أغثني وأمدّني بقضاء حاجتي وتفريج كربتي،
أغثني يا محيي الدّين عبد القادر، أغثني يا وليّ عبد القادر، أغثني يا
سلطان عبد القادر، يا حضرة الغوث الصّمداني، يا سيّدي عبد القادر
الجيلاني عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك في جميع الأمور في
الدّنيا والآخرة).
ويقول الكاتب: (أبو في (ناقوب) في الهند قبراً يسمّى (شاه الحميد) أحد
أولاد عبد القادر - كما يزعمون - وأبو الهنود يسجدون بين يدي ذلك القبر
سجودهم بين يدي الله، وأبو في كلّ بلد وقرية مزار لعبد القادر
هو القبلة التي يتوجّه إليها المسلمون والملجأ الذي يلجأون إليه
في حاجاتهم وشدائدهم، وينفقون الأموال العظيمة على سدنته
وموالده وحضراته).
يقول المنفلوطي رحمه الله: (يعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته
حتى دارت بي الأرض، وأظلمت الدّنيا في عيني حزناً وأسفاً على
ما آلت إليه حال الإسلام بين أقوام أنكروه بعد ما عرفوه، وذهبوا
به مذاهب لا يعرف ولا شبيه له. أيّ عين يجمل بها أن تستبقي
في محاجرها قطرة واحدة من الدّمع فلا تبكي أمام منظر أولئك
المسلمين المخزي وهم ركّع سجّد على أعتاب قبر، أيّ قلب
يستطيع أن يستقرّ به جنبي صاحبه ساعة واحدة فلا يطير جزعاً
حين يرى المسلمين [المثقفين] إلى دين التّوحيد أكثر من المشركين
إشراكاً وأوسع منهم دائرة في تعدّد الآلهة وكثرة المعبودات. لم
ينقض المسلمون التثليث من المسيحيّة؟ ولم يحملوه في صدورهم
لهم تلك الموجدة وذلك الضغن؟ وعلام يجادلونهم وهم لم
يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم، ولم يقرفوا فيه إقرافهم؟ يدين
المسيحيّون بآلهة ثلاثة، ولكنهم يشعرون بغرابة لهذا التعدّد
ويُقيد عنه العقل فيتأولون فيه ويقولون إنّ الثلاثة في حكم
الواحد، أمّا المسلمون فيدينون بآلاف من الآلهة أكثرها جذوع أشجار
وجثث أموات وقطع أحجار من حيث لا يشعرون.
جاء الإسلام بعقيدة التّوحيد ليرفع نفوس المسلمين ويمنعهم قيام

من رقة العبودية [لغير الله]، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر العظيم في نفوس المسلمين في العصور الأولى فكانوا ذوي أنفة وعزة وإباء وغيرة، أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما داخلها من الشرك الباطن والظاهر فقد ذلت رقابهم وفترت حميتهم، فوجد أعداؤهم [من شياطين الجن والإنس] السبيل إليهم فغلبوهم على أمرهم، [من أمر الدين والدنيا].

والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، ولأن طلوع الشمس من مغربها أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ما دام المسلمون يقضون بين يدي الجبابرة ما يقضون بين يدي الله، فإذا نزلت بهم حاجة أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر والجذع [والميت وغيره] قبل أن يذكروا ويدعوا الحي الذي لا يموت ولا يعجزه شيء.

[ومن يتأمل فيه إنكار هذا المنكر]؟ علماء مصر وهم الذين يفتون على (يوم الكنيسة) ترافت الذباب على الشراب [للتبرك بلعس تراب ضريح الإمام الشافعي؟ أم علماء الأستانة [بقيادة] أبي الهدى الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية؟ أم علماء العجم الذين يحجون إلى قبر الإمام كما يحجون إلى البيت الحرام؟

يا قادة الأمة [وعلماءها] لو تعذرنا العامة في إشراكها وفساد عقيدتها وعبادتها عن تصور الألوهية إلا مجسمة في النصب والمزارات والأضرحة فما عذركم وأنتم تتلون في كتاب الله: ﴿قل لا يعلم من في السموات ومن في الأرض الغيب إلا الله﴾، ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا﴾، ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾، ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾، ﴿قل لن يجيرني من الله أحد﴾؟ وما عذركم وأنتم تعلمون أن السلف الصالح لم يرفعوا قبرا ولا توسلوا بضريح ولم يقف أحدهم عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه أو آل بيته يسأله قضاء حاجة أو تفريج كربة، وتعلمون أن الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي ليسوا أكرم عند الله من نبي وآل بيته وصحبه، وأنه لا فرق بينهم وبين الأضرحة والمقامات وبين أوثان الجاهلية الأولى ما دام تقديس يفسد عقيدة التوحيد؟ والله ما جرحتم شيئا من هذا ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة، فعاقبكم الله بسلب نعمتكم وانتقاص أرضكم، وسلط عليكم أعداءكم).

قلت: رحمك الله يا مصطفى المنفلوطي، قليل من أمثالك من تمعر وجهه (أو لسانه أو قلبه أو قلمه) مما يرى بصره وتسمع أذنه من هذه الوثنية التي تقرب بها واستشفع المشركون الجاهليون والمسلمون إلى الله منذ عبادة الفاطميون في الأرض فسادا. ولعل أو أنانهم في المشرق العربي كما له أول المسمى بالحسينية بجوار الأزهر فقد بني لهذا الوثن

في القرن السادس الهجري، ويلقى منه تعظيم العلماء والعوام بالاتكاد تلقاه الكعبة، فلا عجب منه ضلال مسلمي العصر وقد سبقهم العرب إليه.
وتعظيم الوثنية المسمى بالشافعي لا يقف عند حد الشرك بالنفس؛ فلقد شاهدت العمائم الأزهرية أكثر من مرة تطوف حول هذا القبر في سكينة وخشوع لا أجده عند طواف كثير منهم بالكعبة.
ويقول السيوطي في تاريخ الخلفاء أنه الذي بناه صلاح الدين الأيوبي تجاوز الله عنهما بمدحهم بذلك، فتجمع على الشرك أو الدعوة إليه أو على السكوت عنه المجاهدون والعلماء والعوام في القرن السادس إلى القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر وإلى هذا اليوم وباستثناء الشيخ عبد الرحمن الوكيل والشيخ جميل غازي لا أعرف أحداً في مصر جاهد في الله حق جهاده فجعل أكبر همه الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة واتباع السنة والتحذير من شرك الأضرحة والمقامات ومادونه من البدع.
وتقول مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة في مصر (وهي مستثناة أيضاً) إنه نذر وثنه البدوي تقسم أملاك أبيه وزارة الأوقاف (وكانه على رأس ثلاثة من أساتذتي: محمد متولي الشعراوي ومحمد حسنين الذهبي ومحمد محمد المنعم النمر تجاوز الله عنهم) وفيه مصالح الضريح، وفيه سدنة. وفي تاريخ جماعة الإخوان المسلمين وحزب التحرير وحزب الجهاد وجماعة التبليغ وأمثالهم من الأحزاب المبتدعة لم يُعرف أحد منه قادتهم ولا أفرادهم بالدعوة إلى ما دعا إليه كل الرسل، هدانا الله وإياهم لأقرب منه هذا رشداً.
ولكنه أخوي الفويري والتركماني قدما إلي أيضاً فتاوى للشيخ عبد المجيد سليم مفتي مصر ثم شيخ الأزهر رحمه الله وفيها:
(أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره)
(لا يجوز دفن ميت في مسجد، فإن كان المسجد قبل الدفن غيّر إما بتسوية القبر أو نبشه لو كان جديداً، وذلك لأن الدفن في المسجد إخراج لجزء من المسجد عما جُعل له من صلاة المكتوبات والذكر والعلم وذلك غير جائز شرعاً، ولأن الدفن في المسجد يؤدي للصلاة إلى القبر أو عنده).
(وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقاً واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص ٥٨).
(قال ابن تيمية: لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ

على الآخر ممنوع منه وكان الحاكم للشّافعيّة، ذكره ابن القيم في زاد المعاد).

(قال الإمام النووي في شرح المهذّب ص ٢١٦: اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر)

[في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه موته: «لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا].

(نصّ الحنفيّة على كراهة صلاة الجنازة في المسجد. وإذا كانت صلاة الجنازة مكروهة كراهة تحريم لما في إحدى الرّوايتين وهي التي اختارها العلّامة قاسم وغيره كانت النّدفنة في المسجد أولى بالحظر)

(المصدر: فتاوى الأزهر المنشورة على الموقع الرسمي للأزهر).

وقال الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله عن التّصوّف:

(الصّواب أنّه اسم أعجمي قديم كان ولا يزال معروفاً عند وثنيّي الهند، وأصله عند قدماء اليونان [الوثنيّة]: ثيوصوفي، ومعناه: المتجرّد لطلب الحقيقة الأولى التي تشهد عند الوجود، وهي عندهم الحقيقة الإلهيّة أو نحو ذلك، ولهذا كانت الصّوفيّة دينًا آخر غير الإسلام، وتضليل عليم)

المصدر: تحقيق الشيخ عبد المجيد سليم رحمه الله لكتاب التّسهيل للبعلي، ص ٦١١.

وأفتى مفتي الأردن الشيخ د. عزّ الدّين الخطيب بتحريم البناء على القبور: فلا تخلوا الأرض منه طائفة على الحقّ وإن كانوا الأقلّ عددًا كما في قول الله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، ﴿وقليل ما هم﴾.

ولكنني لا أعرف في هذا العصر منه جاهد في الله حقّ جهاده كحارة وشيّد المساجد على القبور (بعد المجدّدين منه علماء وأمراء جزيرة العرب) أكثر منه د. عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السّنّة ود. جميل غازي رئيس جماعة أنصار السّنّة أيضًا (في مصر) وسليم شراب (في غزة من فلسطين) ويوسف البرقاوي (في الأردن) والألباني ومحمد نسيب الرّفاعي في سوريا، رحمهم الله جميعًا وأسكنهم الفردوس.

ولازالت أوثان المقامات والمزارات والمشاهد والأضرحة تملأ الرّحب في بلاد المسلمين العرب والعجم عدا جزيرة العرب (بيد اليمن والأردن، وبيد الخليج والبحر الأحمر) لهدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا وأعاذهم من نزغات شياطين الجنّ والأنس ومن تسويل النّفس الأمّارة بالسوء ومن غلبات الهوى والتّقليد الفاسد ﴿٤٣٠﴾